



شجرة الكون

محیر الدین ابن عربی



Version 1 / June, 2023

ثبيرة الكون

محي الدين ابن عربي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأحدي الذات الفردى الصفات الذى تقدس وجهه عن الجهات
وقدسه عن المحدثات وقدمه عن الجهات ويده عن الحركات وعينه عن
اللحظات واستواؤه عن الاتصالات وقدرته عن الهفوات وإرادته عن
الشهوات.

الذى لا تعدد لصفاته بعدد الموصوفات ولا تختلف إرادته باختلاف المرادات
وكون بكلمة **كُنْ** جميع الكائنات وأوجد بها جميع الموجودات، فلا موجود إلا
مستخرج من كُنْها المكنون ولا مكنون إلا مستخرج من سرها المصون، قال
الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وبعد... فإنى نظرت إلى الكون وتكوينه وإلى المكنون وتدوينه، فرأيت الكون
كله شجرة وأصل نورها من حبة **كُنْ**، قد لُقحت كاف الكونية بلبقاح حبة
﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾، فانعقد من ذلك البذر ثمرة ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

وظهر من هذا غصنان مختلفان أصلهما واحد، وهو الإرادة وفرعها القدرة.

فظهر عن جوهر الكاف معنيان مختلفان: كاف الكمالية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وكاف الكفرية ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾.

وظهر جوهر النون: نون النكرة ونون المعرفة، فلما أبرزهم من العدم على
حكم مُراد القَدَم رش عليهم من نوره فأما من أصابه ذلك النور فحدق إلى تمثال
شجرة الكون المستخرجة من حبة **كُنْ** فلاح له في سر كافها تمثال ﴿كُتِبَ خَيْرَ
أُمَّةٍ﴾، واتضح له في شرح نونها ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُو لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾.

وأما من أخطأه ذلك النور فطولب بكشف المعنى المقصود من حرف **كُنْ** فإن غلط في هجائه وخاب في رجائه فنظر إلى مثال **كُنْ** فظن أنها كاف كفرية بنون نكرة فكان من الكافرين.

وكان حظ كل مخلوق من كلمة **كُنْ** ما علم من هجاء حروفها وما شهد من سرائر خفائها، دليل قوله ﷺ: (أن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ذلك النور ضل وغوى).

فلما نظر آدم إلى دائرة الوجود فوجد كل موجود دائراً في دائرة الكون واحد من نار وواحد من طين، ثم رأى هذه الدائرة على سرائر **كُنْ** فكيفها دار واستدار وحيثما طار واستطار فإليها يؤل وعليها يجول ولا يزول عنها ولا يحول.

فواحد شهد كاف الكمالية ونون المعرفة، وواحد شهد كاف الكفر ونون النكرة، فهو على حكم ما شهد راجع إلى نقطة دائرة **كُنْ** وليس للمُكُون أن يجاوز ما أَراده المُكُون، فإذا نظرت إلى اختلاف أغصان شجرة الكون ونوع ثمارها علمت بأن أصل ذلك ناشيء من حبة **كُنْ** بائن عنها.

فلما أدخل آدم في مكتب التعليم وعُلم الأسماء كلها نظر إلى مثال **كُنْ** ونظر إلى مراد المُكُون من المُكُون فشهد المعلم من كاف **كُنْ** كاف الكنزية (كنت كنزاً مخفياً لا أعرف فأحببت أن أعرف)، فنظر من سر النون نون الأنانية ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾.

فلما صح الهجاء وحقق الرجاء استنبط له من كاف الكنزية كاف الكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ وكاف الكنتية (كنت له سمعاً وبصراً ويداً) واستخرج له من نون الأنانية نون النورية ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ واتصلت بها نون النعمة ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾.

وأما إبليس لعنه الله فإنه مكث في مكتب التعليم أربعين ألف عام يتصفح حروف **كُنْ** وقد وكله المعلم إلى نفسه وأحاله على حوله وقوته، فكان ينظر إلى تمثال **كُنْ** ليشهد من تماثلها كاف كفره فكفر فـ ﴿أَبْنِ وَأَسْتَكْبِرْ﴾ وشهد من نونها نون ناريتها ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾ فاتصلت كاف كفريته بنون ناريتها ﴿فَكُبِّبُوا فِيهَا﴾.

فلما نظر آدم إلى اختلاف هذه الشجرة وتنوع أزهارها وثمارها فتثبت بغصن ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾، فنودي: كُلْ ثمار التوحيد واستظل بظل التفريد ولا تقربا، فأراد إبليس أن يوصله بغصن ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ فأكلا منها فزلقا في مزالق ﴿وَعَصَيْنَا﴾ واستمسك بغصن ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ فتدلت عليه ثمار ﴿فَتَلَقَى﴾.

فلما نودي يوم الإشهاد على رؤوس الأشهاد: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فشهد كل على مقدار ما شهد وسمع، ثم اتفق الكل في الإيجاب فقالوا: ﴿بَلَى﴾.

لكن الاختلاف وقع من حيث الإشهاد، فمن أشهده جمالية ذاته شهد أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ومن أشهده جمالية صفاته شهد أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾، ومن أشهده عرائس مخلوقاته اختلفت شهاداتهم لاختلاف المشهود.

فقوم جعلوه محدوداً، وقوم جعلوه معدوماً، وقوم جعلوه حجراً جليماً، والكل في ذلك على حكم ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا﴾، وهو مستبطن في سر كلمة **كُنْ** دائر على نقطة دائرتها ثابت على أصل حبتها.

فلما كانت هذه الحبة بذرة شجرة الكون وبذر ثمرتها ومعنى صورتها، أحبت أن تجعل للكون مثالاً وللموجود تماثلاً ولما ينتج فيه من الأقوال والأفعال والأحوال منوالاً، فمثلت شجرة نبتت عن أصل حبة **كُنْ** وكل ما يحدث في الكون من الحوادث كالنقص والزيادة والغيب والشهادة والكفر والإيمان، وما يثمر من الأعمال وزكاة الأحوال وما يظهر من أزاهير القول والتورق والذوق

ولطائف المعارف، وما تورق به من قربات المقربين ومقامات المتقين ومنازلات الصديقين ومناجاة العارفين ومشاهدات المحبين،

كل ذلك من ثمرها الذى أثمرته وطلعها الذى أطلعتة، فأول ما أنبتت هذه الشجرة التى هى حبة **كُنْ** ثلاثة أغصان، أخذ غصن منها ذات اليمين فهم أصحاب اليمين، وأخذ غصن منها ذات الشمال، ونبت غصن منها معتدل القامة على سبيل الاستقامة فكان منه السابقون المقربون.

فلما ثبت واستعلى جاء من فرعها الأعلى وجاء من فرعها الأدنى عَالَمُ الصورة والمعنى، فما كان من قشورها الظاهرة وستورها البارزة فهو عالم المُلْك، وما كان من قلوبها الباطنة ولباب معانيها الخافية فهو عالم الملكوت، وما كان من الماء الجارى فى شريانات عروقها الذى حصل به نموها وحياتها وسموها وبه طلعت أزهارها وأينعت ثمارها فهو عالم الجبروت، الذى هو سر كلمة **كُنْ**، ثم أحاط بالشجرة حائط وحد لها حدود ورسم لها رسوم فحدودها الجهات وهن: العلو والسفل واليمين والشمال والوراء والأمام، فما كان أعلى فهو حدها الأعلى وما كان أسفل فهو حدها الأسفل.

وأما رسومها وما فيها من الأفلاك والأجرام والأملاك والأحكام والآثار والأعلام، فجعل السبع الطباق بمنزلة ما يستظل به من الأوراق، وجعل الكواكب فى الإشراق بمنزلة الأزهار فى الآفاق، وجعل الليل والنهار بمنزلة ردائين مختلفين أحدهما أسود يرتدى به ليحتجب عن الأبصار، والآخر أبيض يرتدى به ليتجلى على ذوات الاستبصار، وجعل العرش بمنزلة بيت مال هذه الشجرة وخزانة سلاحها، فمنه يستمد ما فيه صلاحها وفيه سُوءُاس هذه الشجرة وخدمها ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ إليه يتوجهون وعليه يعولون

وحوله يحومون وبه يطوفون، وحيثما كانوا فإليه يشيرون فمتى حدث في هذه الشجرة حادثة أو نزل بشيء منها نازلة، رفعوا أيدي المسألة والتضرع إلى جهة عرشه يطلبون الشفاء ويستعفون عن الخطأ، لأن موجد هذه الشجرة لا جهة إليه يشار إليها ولا أبنية له يقصدونها ولا كيفية له يعرفونها، فلو لم يكن العرش جهة يتوجهون إليه للقيام بخدمته ولأداء طاعته لضلوا في طلبهم.

فهو سبحانه وتعالى إنما أوجد العرش إظهاراً لقدرته لا محلاً لذاته، وأوجد الوجود لا الحاجة له به، وإنما هو إظهار لأسمائه وصفاته، فإن من أسمائه الغفور ومن صفاته المغفرة ومن أسمائه الرحيم ومن صفاته الرحمة ومن أسمائه الكريم ومن صفاته الكرم.

فاختلفت أغصان هذه الشجرة وتنوعت ثمارها ليظهر سر مغفرته للمذنب ورحمته للمحسن وفضله للطائع وعدله للعاصي ونعمته للمؤمن ونقمته على الكافر فهو مقدس في وجوده عن ملامسة ما أوجده ومجانبته ومواصلته ومفاصلته لأنه كان ولا كون وهو الآن كما كان، لا يتصل بكون ولا ينفصل عن كون لأن الوصل والفصل من صفات الحدوث لا من صفات القدم ولأن الاتصال والانفصال يلزم منه الانتقال والارتحال ويلزم من الانتقال والارتحال التحول والزوال والتغير والاستبدال، وهذا كله من صفات النقص لا من صفات الكمال، فسبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً،

ثم جعل اللوح والقلم بمنزلة كتاب الملك وما يسطر فيه من أحكامه وما حكم بنقضه وإبرامه وإيجاده وإعدامه وما يخرج من بحرهِ وانعامه وما يكون من ثوابه وانتقامه.

ثم جعل سدرة المنتهى بمنزلة غصن من أغصان هذه الشجرة يقوم تحتها من

يقوم بخدمته وينفذ أحكامه ويرفع إليه ما يحمل من ثمرة هذه الشجرة وما يدانيها.

ثم يتلقى هناك من نسخة كتاب الملك الذى هو اللوح المحفوظ وما يحدث فى هذه الشجرة من خير وإثبات ونقص وزيادة فلا يتجاوز تلك الشجرة إذ لكل واحد منهم حد مفهوم وحظ مقسوم ورسم مرسوم ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، ولا يرفع شئ من ثمرة هذه الشجرة من دنىء أو حسن أو كبير أو جليل أو حقير أو قليل أو كثير إلا ختم عليه فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

ثم يأمرهم الملك أن يدفعوا إلى إحدى خزائنيه اللتين ادخرهما لثمرة هذه الشجرة وهما: الجنة والنار، فما كان من ثمر طيب ففى خزانة الجنة ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾، وما كان من ثمر خبيث ففى خزانة النار ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَاجِرِ لَفِي سَجِينٍ﴾.

فأما الجنة فدار أصحاب اليمين من جانب الطور الأيمن من الشجرة المباركة الطيبة، وأما النار فدار أصحاب الشمال من الشجرة الملعونة فى القرآن.

ثم جعل الدنيا مستودع زهرتها والآخرة مستقر ثمرتها وأحاط على هذه الشجرة حائط إحاطة القدرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾.

وأدار عليها دائرة الإرادة يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد فلما ثبت أصل هذه الشجرة وثبت فرعها التقى طرفاها ولحق أخراها بأولها إلى ربك منتهاها ومبتداها لأن من كان أوله **كُنْ** كان آخره يكون، فهى وإن تعددت فروعها وتنوعت زروعها فأصلها واحد فهى حبة كلمة **كُنْ** وسيكون آخرها واحداً وهى كلمة **كُنْ**.

فلو أهدت ببصر بصيرتك لرأيت أغصان شجرة طوبى معلقة بأغصان شجرة الزقوم وبرد نسيم القرب يمازج حر السموم وظل سماء الوصل متصل بـ ﴿وَزِلِّ مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾، وقد تناول كل حظه المقسوم، فواحد يشرب بكأسه المختوم وواحد يشرب بكأسه المحتوم وواحد من بينهم محروم.

فلما برزت أطفال الوجود من حضرة العدم هبت عليهم نسيمات القدرة وغذتها لطائف الحكمة وأمطرتها سحائب الإرادة بعجائب الصنع فأنبت كل غصن منها ما سبق له في القَدَم وركب في عنصره من الصحة والسقم، والكون كله عنصرين مستخرجين من جزأين من كلمة **كُنْ** وهما الظلمة والنور فالخير كله من النور والشر كله من الظلمة، فملاً الملائكة موجود من عنصر النور فكان منهم الخير لا يعصون الله ما أمرهم وملاً الشياطين من عنصر الظلمة فكان منهم الشر.

وأما آدم وبنوه فإنهم جعلت طينتهم من الظلمة والنور وركب عنصره من الخير والشر والنفع والضر وجعلت ذاته قابلة للمعرفة والنكرة فأى جوهر غلب عليه نسب إليه فإن علا جوهر نوره على جوهر الظلمة وظهرت روحانيته على جسمانيته فقد فضل على الملئك وعلا على الفلك، وإن غلب جوهر ظلمته على جوهر نوره وظهرت جسمانيته على روحانيته فقد فضل على الشيطان.

فلما قبض الله آدم من قبضة تراب **كُنْ** مسح على ظهره حتى يميز الخبيث من الطيب فاستخرج من ظهره من كان من أصحاب اليمين فأخذوا ذات اليمين واستخرج من ظهره من كان من أصحاب الشمال فأخذوا ذات الشمال وما زاغ أحد عن المراد وما مال.

ومن قال: لم؟ فقد أخطأ في السؤال.

فأول من عمل حوالى هذه الشجرة إلى أصل جهة **كُنْ** فاعتصر صفوة

عنصرها ومخضها حتى بدت زبدتها، ثم صفاها بمصفاة الصفة حتى زال وخمها، ثم ألقى عليها من نور هدايته حتى ظهر جوهرها، ثم غمسها في بحر الرحمة حتى عمت بركتها، ثم خلق منها نور نبينا محمد ﷺ، ثم زين بنوره الملاء الأعلى حتى أضاء وعلا، ثم جعل ذلك النور أصلاً لكل نور، فهو أولهم في المسطور وآخرهم في الظهور وقائدهم في النشور ومبشرهم بالسرور ومتوجههم بالحبور، فهو مستودع في ديوان الإنس مستقر في رياض الأنس وحضرة الأنس.

ستر معنى روحانيته بستر جسمانيته وغطى عالم شهوده بعالم وجوده فهو مستخرج في الكون مستنبط لأجله الكون، فإن الله تعالى كون الأكوان اقتداراً عليها لا افتقاراً إليها، وكمال حكمته في التكوين لإظهار شرف الماء والطين، فإنه أوجد ما أوجد ولم يقل في شيء من ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وكان وجود الأدمى فكانت حكمته في وجود الأدمى لإظهار شرف النبي ﷺ، لأنه حكمة الأجساد لإستخراج كاف الكنزية (كنت كنزاً مخفياً لا أعرف)، فكان المقصود في الوجود معرفة موجدهم سبحانه.

وكان المخصوص بأتم المعارف قلب سيدنا محمد ﷺ، لأن معارف الكل كانت تصديقاً وإيماناً، ومعرفة ﷺ مشاهدة وعياناً، وبنور معرفته ﷺ تعرفوا، وبفضله عليهم اعترفوا، فاستخرجه من لباب حبة **كُنْ** ﴿كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْءَهُ﴾ فأزره بصاحبته ﴿فَاسْتَعْلَظَ﴾ بقرابته ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ﴾ بصحة ذوقه وقوة توقه وشوقه.

فلما ظهر هذا الغصن المحمدى وسماً، أورد عوده ونما وانهل عليه سحب القبول وهمي (سأل)، وتباشر بظهوره الحدثان وبشر بوجوده الثقلان، وتعطرت بقدمه الأكوان وانتكست بمولده الأوثان، ونسخت بمبعثه الأديان، ونزل بتصديقه القرآن واهتزت طرباً شجرة الأكوان وتحرك ما فيها من الألوان والعيان.

وكان من أغصان هذه الشجرة من أخذ ذات الشمال ومال يهوى الضلال فلما أرسلت رياح الإرسال برسالة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، استنشقتها من ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى﴾ فمال إليها متعطفاً، وأما من كان مزكوماً أو من خلع القبول محروماً فإنه عصفت به عواصف القدرة فأصبح بعد نضارته يابساً ووجه سعادته عابساً وراح من رجاء فلاحه قانطاً آيساً، وكان سر هذا الغصن لقاح شجرة الجود ودرة صدفة الوجود وكان من روح روحانيته روح ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيرًا﴾.

فهو مصباح ظلمة الكون وروح جسد الوجود لأن الله تعالى لما خاطب السموات والأرض وقال لهما: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، فأجابه موضع الكعبة من الأرض ومن السماء ما يحاذيه فكانت تربة بقعة الكعبة وكان محل الإيمان من الأرض.

فلما أمر الله بالقبضة التي قبضت من الأرض لخلق آدم عليه السلام فقبضت من سائر الأرض من طيبها وخبيثها فكانت طينة نبينا محمد ﷺ مخلوقة من موضع الكعبة التي هي محل الإيمان بالله تعالى، ثم عجنت تلك الطينة بطينة آدم عليه السلام فكانت تلك الطينة بمنزلة الخميرة، ولولا ذلك لما أطاقوا الإجابة يوم الإشهاد وهو معنى قوله ﷺ (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)،

فكانت ذرات الوجود وبركته من ذرة وجوده، فلما أشهدهم على أنفسهم في حضرة شهوده قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، فسرت في أجزاء ذراتهم تلك الخميرة النبوية فانطلقت بإذن الله تعالى ألسنتهم بالتلبية قائلة.

فمن كانت طينته قابلة للتخمير بما سبق في التقدير بقى معه ذلك التخمير باقياً فيه مستصحباً حتى ظهر إلى الحس وظهر في تلك الصورة، فبرز ذلك

المعنى محققاً لتلك الدعوى فأشرق نور ذلك المعنى الروحاني على ما يحاذيه من
الجسد الجسماني فأشرق الجسد بعد ظلمته فاستنارت الجوارح لرشدتها فعملت
بالطاعة.

وأما من كانت طينته خبيثة غير قابلة للتخмир وإنما أثرت تلك الخميرة مقدار
ما اعترف عند الإشهاد وأفصح في ذلك الإقرار في حال الاستقرار ثم طال
عليها الأمد ففسدت تلك الخميرة بفساد تلك الطينة فكأنه كان مستودعاً
فاسترجع منه ما استودع إذ لم يكن لحفظها أهلاً فهو مستودع - أعنى الإيمان في
قلوب الكافرين - مستقر في قلوب المؤمنين وهو معنى قوله ﷺ : (كل مولود يولد
على الفطرة التي فطر الله الناس عليها)، وهو تساويهم في الإيمان في قول:
﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۖ ﴾.

واستووا في التلبية ونطقوا بالإجابة لسريان تلك الخميرة في أجزاء ذراتهم وقد
سبق في علم الله تعالى ونفذ تقديره، فمن تبقى على ذلك الإقرار لا يستحيل إلى
البحود والإنكار.

وكل ما يحدث في شجرة الكون من نمو وزيادة وإزهار وإثمار أفكار ومتشابه
شوق ومحكم ذوق وصفاء أسرار ونسيم استغفار وما ينمو به الأعمال وتزكوا به
الأحوال وما تورق به من رياضات النفوس ومناجاة القلوب ومنازلات الأسرار
ومشاهدات الأرواح.

وما ينبت به من أزاهير الحكم ولطائف المعارف وما يصعد من طيب الأنفاس
وما يعقد من ورق الإيناس وما ينشأ من رياح الارتياح وما يبنى على أصلها من
مراتب أهل الاختصاص ومقامات الخواص ومنازلات الصديقين ومناجاة
المقربين ومشاهدات المحبين.

كل ذلك من لقاح الغصن المحمدي متوقد من نوره مستمد من نماء نهر كوثره
مغذى بلباب بره مربى فى مهد هدايته، فلذلك عمت بركاته وتمت على الخلائق
رحمته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

فلما مهد لأجله الدار وسخر من أجله الليل والنهار ورسم الرسوم وحدد
الأفطار ونوه بذكره ونبه على سره وقدره وأخذ الميثاق على تصديقه والتمسك
بحل تحقيقه جلا عروس شريعته على أتباعه وشيعته، ثم ختم بنبوته الأنبياء
وبكتابه الكتب وبرسالته الرسل، فمن احتفى بحمى شريعته سلم ومن
استمسك بحبل ملته عصم.

لما توسل به آدم عليه السلام سلم من الملام، ولما انتقل إلى صلب إبراهيم
الخليل صارت النار عليه برداً وسلاماً، ولما أودعته صدفة إسماعيل فدى بذبح
عظيم، فثمرة غصن أصحاب اليمين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وثمره غصن أصحاب
الشمال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ وثمره غصن السابقين المقربين ﴿مُحَمَّدٌ
رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ فبركته على الآفاق قد عمت
وكلمته قد تمت.

خلق آدم على صورة اسمه لأن اسمه محمد فرأس آدم دائرة بتدويره على
صورة الميم الأولى من اسمه وإرسال يده مع جنبه على صورة الحاء وبطنه على
صورة الميم الثانية ورجلاه فى انفتاحهما على صورة الدال، فكمل خلق آدم على
صورة اسم محمد ﷺ.

وقولنا كَوْنُ الأكوان على هيئة رسمه، لأن العالم عالمان عالم الملك وعالم
الملكوت، عالم الملك كعالم جسمانيته وعالم الملكوت كعالم روحانيته، فكثيف العالم
السفلى ككثيف جسمانيته ولطيف العالم العلوى كلطيف روحانيته، فما فى الأرض

من الجبال التى جعلت فى الأرض أوتاداً فهى بمنزلة جبال عظامه التى جعلت أوتاد جسده، وما فيها من بحار مسجورة جارية وغير جارية عذبة وغير عذبة فهذه بمنزلة ما فى جسده من دم جار فى تيار العروق وساكن فى جداول الأعضاء واختلاف أذواقها فمنها ما هو عذب وهو ماء الريق يطيب بعجينه المأكّل والمشارب ومنها ما هو ملح وهو ماء العين بحفظه شحمة العين ومنها ما هو مر وهو ماء الأذن لصيانة الأذن من حيوان ودبيب يصل إليها فيقتله ذلك الماء، ثم فى أرض جسده ما ينبت كالأرض الجرذ والأرض السبخة التى لا تنبت ويستحيل النبت فيها ثم لما كان فى الأرض بحار عظيمة تتفرع منها أنهار واسواق لنفع الناس بها كذلك فى أرض جسده عروق غلاظ كالوتين الذى يبيت الدم وتستمد العروق منه إلى سائر الجسد.

ثم العالم العلوى وهو عالم السماء جعل الله فيه شمساً كالسراج يستضىء به أهل الأرض كذلك جعلت الروح فى الجسد يستضىء بها الجسد فلو غابت بالموت لأظلم الجسد كظلمة الأرض إذا غابت عنها الشمس ثم جعل العقل بمنزلة القمر يستنير فى تلك السماء تارة يزيد وتارة ينقص فابتدأه صغير وهو هلال كابتداء عقل الصغير فى صغره ثم يزيد كزيادة القمر ليلة تمامه ثم يبدو بالنقص فهو بمنزلة بلوغ الأجل إلى تمام الأربعين ثم يعود فى النقص فى تركيبه وقوته،

ثم جعل فى السماء كواكب خمس، وهى الخمس ﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ وهى الذوق والشم واللمس والسمع والبصر، ثم جعل فى عالم السماء عرشاً وكرسياً فالعرش أوجده وجعله وجهة قلوب عباده إليه ومحل رفع الأيدي إليه لا محلاً لذاته ولا بجانب لصفاته لأن الرحمن تعالى إسمه الاستواء - نعتة وصفته - ونعتة وصفته متصلة بذاته والعرش خلق من خلقه لا متصل به ولا ملامس له

ولا محمول عليه ولا مفتقر إليه، وأما الكرسي فهو وعاء أسرارهِ وكنانة أنوارهِ ومستودع ما في دائرة ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فجعل الصدر بمنزلة الكرسي لأن فيه تحصيل العلوم الصادرة بمنزلة الساحة على باب القلب والنفس يشرع منه بابان إليهما فما صدر عن القلب من خير أو عن النفس من شر فهو يحصل في الصدر وعنه يصدر إلى الجوارح وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.

وجعل القلب بمنزلة العرش لأن عرشه في السماء معروف وعرشه في الأرض مسكون لأن عرش القلب أفضل من عرش السماء لأن ذلك العرش لا يسعه ولا يحمله ولا يدركه وهذا عرش في كل حين ينظر إليه ويتجلى عليه وينزل من سماء كرمه إليه (ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن).

ولما جعل في عالم الآخرة جنة ونار النعيم والعذاب هذه خزانة الخير وهذه خزانة الشر كذلك جعل الخير الذي هو مكان سويداء القلب جعله جنة عبده المؤمن لأنه محل المشاهدة والتجلى والمناجاة والمنازلات ومنبع الأنوار.

وجعل النفس بمنزلة النار لأنها منبع الشر ومحل الوسواس ورَبَعَ الشيطان ومحل الظلمة.

ثم جعل اللوح والقلم نسخة كتاب الكون ولا تكوين وما كان ما يكون إلى يوم الدين وجعل الملائكة تستنسخ ما يؤمرون نسخه من محو وإثبات وموت وحياة ونقص وزيادة، فكذلك اللسان بمنزلة القلم والصدر بمنزلة اللوح فما نطق به اللسان رقمته الأذهان في ألواح الصدور وما أرخته إرادة القلب إلى الصدر عبر عنه اللسان كالترجمان.

ثم جعل الحواس رسل القلب يستنسخ ما حصل فيها فالسمع رسول وهو

جاسوسه والبصر رسول وهو حارسه واللسان رسول وهو ترجمانه.

ثم جعل في الإنسان ما هو دلالة على الربوبية وتصديق الرسالة المحمدية وذلك الهيكل الانساني لما افتقر إلى مدبر وهو الروح وكان مدبره واحداً وكانت الروح غير مرئية ولا مكيفة ولا متحيزة في شيء من الجسد ولا يتحرك شيء من الجسد إلا بشعورها به وإرادتها له لا يحس ولا يمس إلا بها وكان ذلك كله دلالة على أن العوالم لا بد لهم من مدبر ومحرك ويلزم منه أن يكون واحداً عالماً بما يحدث في ملكه قادراً على حدوثه وأنه غير مكيف ولا متمثل ولا مرئي ولا متحيز ولا متبعض ولا محسوس ولا ملموس ولا مقبوس بل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ولما كان رسوله إلى خلقه اثنين "ظاهر وباطن" فرسوله الظاهر محمد رسول الله ورسوله الباطن جبريل يأتيه بالوحي بين قومه ولا يحسونه ولا يعرفونه.

فكذلك كان لمدبر هذا الهيكل الانساني وهو الروح رسولان باطن وظاهر، فالرسول الباطن هي الإرادة بمنزلة جبريل يوحى إلى اللسان، واللسان يعبر عن الإرادة وهو بمنزلة سيدنا محمد ﷺ.

ثم لما جعل فيك دلالة على صحة نبوته وصدق رسالته، جعل فيك أيضاً دلالة على ما جاء به من تحقيق شريعته واتباع سنته، فكان أصل الأيدي خمسة أشياء كل منها خمس، فالأصل الأول: ما بنى عليه فقال رسول الله ﷺ: (بنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام)، الأصل الثاني: وكانت الصلاة المفترضة خمسة، والثالث: الزكاة المفروضة في النصاب خمس، والرابع: محمد رسول الله والذين معه أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ فهم خمسة برسول الله ﷺ،

والخامس: أهل البيت خمسة محمد ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين.

فلما كان أركان الدين إقامة أركان شريعته ومحبة صحابته ومودة قرابته جعل في أعضائك منها دلالة على ذلك خمسة فالخمس التي بنى الإسلام عليها بمنزلة الحواس الخمس منك وهي السمع والبصر واللمس والشم والذوق لأنك تجد بهذه الحواس مذاق كل شيء ومعرفة كل شيء.

وكذلك تجد بإقامة تلك الأركان الخمسة ذوق كل شيء وإدراك العرفان ومعرفة الرحمن وعلم الإيقان، فحاسة البصر تدعوك إلى إقامة أركان الصلاة قال ﷺ: (جعلت قرت عيني في الصلاة)، وحاسة اللمس تدعوك لأداء الزكاة قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾، وحاسة الذوق تدعوك إلى ترك ذوق الطعام لإقامة ركن الصيام، وحاسة السمع تدعوك إلى استماع الآذان ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾، وحاسة الشم تدعوك إلى انتشاق أنفاس التوحيد (أنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن)، فهذه الحواس تدعوك إلى إقامة الأركان الخمس.

وجعل أصابعك الخمس في يمينك بمنزلة محمد رسول الله ﷺ والذين معه هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

وأن آدم عليه السلام لما خلق نور سيدنا محمد ﷺ في جبينه كانت الملائكة تستقبله وتسلم على نور محمد ﷺ، وآدم عليه السلام لم يره فقال: يا رب أحب أن أنظر إلى نور ولدى محمد ﷺ فحواله إلى عضو من أعضائي لأراه، فحواله إلى سبابته في يده اليمنى، فنظر إليه يتلأأ في مسبحته فرفعها فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لذلك سميت المسبحة، فقال: يا رب هل بقي في صلبى من هذا النور شيء؟ قال: نعم نور أصحابه وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فجعل نور على في إبهامه ونور أبى بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر

ونور عثمان في الخنصر، وقيل: إنما جعلت في يدك لتقبض برؤسهن على حب هؤلاء الخمسة ولا تفرق بينهم وبين محمد ﷺ، فإن الله جمع بينهم بقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

ثم جعل أصابعك الخمس في اليد اليمنى مذكرة بالخمسة أشباح وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قال رسول الله ﷺ: (أنزلت هذه الآية فينا أهل البيت أنا وعلى وفاطمة والحسن والحسين).

ثم جعل أصابع قدميك الخمس مشيرة لك مذكرة بالخمس صلوات التي افترضها الله عليك، فتقوم بها على قدميك لأنها خدمة الله تعالى في الأرض، والخدمة إنما تكون من القدمين فلذلك جعلت قدمك اليمنى مذكرة بالصلاة الخمس.

وأصابع قدمك اليمنى تذكرك بما يجب من نصاب الزكاة وهي خمس دراهم، فالزكاة مقرونة بالصلاة فلذلك كانت أصابع القدمين إشارة إلى الصلاة والزكاة.

ثم جعل فيك ما يدل على الموت والبعث وما يدل على نعيم القبر وعذابه وهو النوم، وما يراه النائم من منام سيء فيتعذب به فيصير بالنوم كالميت فاقد الحس فلا سمع له ولا بصر له ولا إدراك له، ثم جعل له سمعاً وبصراً وإدراكاً فيسمع ويبصر بسمع وبصر عن سمعه وبصره، ويرى نفسه تذهب حيث تشاء ويأكل ويشرب، فهي بمنزلة ما يراه الميت في قبره من النعيم والعذاب في مدة البرزخ بين الموت والبعث.

ثم يوقظك الله من نومك لا عن مرادك ولا عن اختيارك فلو أردت أن لا تنتبه من ذلك فأنت تطيق أن لا تبعث. وهذا تكذيب من أنكر البعث بعد الموت

وجهمه وهم الزنادقة والدهرية والفلاسفة ورد على من أنكر عذاب القبر ونعيمه
ومسئلته وهم المعتزلة.

ثم اعلم أن الله تعالى خلق خلقه على ثلاثة أصناف فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والديدان ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالدواب، فمِنْهُمْ صنف كالساجد وصنف كالراكع وصنف كالقائم، فالقائم كالأشجار والجدران لا يطبقون ركوعاً ولا راكع كالدواب لا يطبقون سجوداً ولا قياماً والساجد كالحشرات لا يطبقون رفعاً، وكلهم مخلوقون لطاعته وتقديسه وتنزيهه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ فجمع سبحانه لك سائر عبادات خلقه وطاعته وبسط لك في خلقه إن شئت أن تعبدته قائماً وراكعاً وساجداً فعلت، ليجمع لك فضيلة جميع خلقه فكذاك فرض عليك الصلاة وجعلها تشتمل على سائر عبادة خلقه، فكذاك فضيلة القوم والركع والسجد وأنت المقصود من كل الوجود وأنت خاصة العبيد لمراد المعبود فهذا معنى قولنا متقدماً، خلق الله آدم عليه السلام على صورة اسم محمد ﷺ وخلق الكون على هيئة رسمه.

واعلم ان الملائكة الأعلى مسخرون في نفع شجرة الكون مستعملون لمصالحها قائمون بحقوقها لما فيها من خاصية هذا الغصن المحمدى والنور الأحمدي، فأول ما انسلخ نهار الوجود من ظلمة ليل العدم، شعشت أنوار الشمس المحمدية في أفق جبين آدم عليه السلام فخرت الملائكة سجداً وقالوا: ملك العرش محمد أبداً، فلما أمروا بالسجود سجدوا وخصوا بالشهود فشهدوا، وقيل لهم: شكران هذه المشاهدة أن تقوموا على قدم المجاهدة في خدمة شجرة هو أصلها ودولة هو عقدها وحلها، فليكن منكم السفرة يسعون بالصحف المطهرة وليكن منكم البررة يطوفون حول حمى هذه الشجرة وليكن منكم الحملة يحملون

لكل عامل عمله، وليكن منكم الكتاب يقومون على أعتاب من قد تاب، وليكن منكم يغسل وجوههم من غبار الأوزار بماء الاستغفار ويستغفرون لمن في الأرض، وليكن منكم الحفظة يحفظون عليهم أعمالهم ويحصون ما عليهم وما لهم، وليكن منكم ما يسعى في أرزاقهم ليتفرغوا لطاعة رزاقهم فقوم يرسلون الرياح وقوم يسيرون السحاب وقوم يسخرون البحار وقوم ينزلون ماء الأمطار وقوم يحفظون الأقطار وقوم يغشون الليل وقوم يسبحون النهار وقوم معقبات يحفظون الجوارح من الموبقات وقوم يرفعون الآفات وقوم يزخرفون الجنان وقوم يسعرون النيران.

فلما تمهدت الدار ودار كأس إدارته فاستدار، فأول ما استحضر إلى ذلك المحضر إبليس وهو يرفل في ثياب التسبيح والتقديس لكنها محشوة بأدغال التدليس، فلما حضر إلى ذلك المحضر وشاهد جمال ذلك المنظر ووقف على عرفات المعرفة فأنكر وأصر على العصيان وأضر واستصغر حق هذا الماء والطين واستحقر.

فلما قيل له: اسجد في صفاء كاساتك، فأبى واستكبر فتجاوز الكأس وفاتته صحبة الأكياس فبقى في ظلمة الغم والوسواس وفتش أكياس علمه وعمله، فإذا هي فلوس أكياس فبقى منقطعاً في مفازة القطيعة قاطعاً الشيعة والشيعة، كلما تزايد كربه وتعاضم عليه ضربه يستغيث بلسان ﴿وَلَا ضَلَّئَهُمْ وَلَا مَنِيَّتَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ﴾، والقدر يقول لأكتبن لهم منشور الأمان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾، فسأل المالك الإنظار فأنظر ليكون قائد الكفار إلى النار، عكازة يعتمد عليها ذوو الذنوب والأوزار فإذا زل أحدهم قال: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ وإن عمل قال: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

فلما اقتحم آدم وإبليس عقبة المعصية هذا يترك ما أمر به وذاك يفعل ما نهى

عنه جمع بينهما القدر إذ قدر، لأنه تعالى أمر وأراد خلاف ما أمر، فما وهبه الأمر سلبته الإرادة.

فلما تعدياها حكم لإبليس أن لا يتعدها وطنب الشقى فيها خيامه وجل في عَرَصَتِهَا (الدور الواسعة) مقامه.

وأما آدم فإنه حن إلى دار المقامة وتذكر لآياله وأيامه فعاد على نفسه بالملامة فنادى بين ندماء الندامة ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾، فتلقى بشير قربته بتفريج كربته ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، وأما الشقى إبليس فانطلق إليه خيول اللعنة مطلقة الأعنة تبشره بطرده وبُعده فأخرج منها مأموراً ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا﴾، فتقلقل آدم قلقاً وكاد أن يتمزق حرقاً، وقال: سيدى جرعت مَرَار الصدود في الصعود فاعذنى من حرارة القنوط في الهبوط.

ف قيل له: لا بأس عليك حتى تصل إلى مفرق فريقين ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾، فأخذ آدم ذات اليمين وأخذ إبليس ذات الشمال فكان أصلاً لأصحاب الشمال، لكنهما لما اصطحبا واجتمعا فكان للصحة أثر، فكان محله من آدم وسيره معه مما يلي شماله فأثر ذلك على ما كان في أصله من الصفح الأيسر، فبرحوا في ظل ظلمة مخالفته فكفروا بقربهم منه ومحاذاتهم له، وبقي من كان في الصفح الأيمن في نور معرفة آدم فسلموا من ظلمة إبليس لبُعدهم عنه، وأثر عليه جوار من كفر واستظلوا بظلمة ضلاله وهم أهل الصفح الأيسر، وأثر ذلك في صفاتهم وسلمت لهم أنوار ذواتهم ومعارفهم فما يرتكبه أهل الصفح الأيمن من المعاصي والأوزار هو من أثر ذلك الجوار وأشعة ذلك العذار.

واعلم أنه كان لذلك الأثر أصل آخر وسبب آخر وهو أنه لما أمر الله تعالى بقبض القبضة التي خلق منها آدم عليه السلام فهبط ملك الموت لذلك، وكان

إبليس يومئذ في الأرض قد استخلفه الله تعالى فيها مع جملة من الملائكة وقد مكث زماناً طويلاً يعبد الله، فقبض ملك الموت القبضة من سائر الأرض وكان إبليس يطؤها بقدمه، فلما عجت طينة آدم وصورت صورته من تلك الطينة، جاء خلق النفس من التراب الذى وطئه إبليس بقدمه، وخلق القلب من التراب الذى لم يطأه إبليس بقدمه، فاكسبت النفس ما فيها من الخبث والأوصاف المذمومة من ملامسة وطء إبليس، ومن هنا جعلت النفس مأوى الشهوات وعيشه وسلطانها عليها لوطئه لها، ومن هنا جعل إبليس التكبر على آدم حيث وجدها من تراب قدمه ونظر إلى جوهر عنصره وهو النار فادعى الفخار حينئذ ومال إلى الإستكبار، وهذا معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ التى خلقت من تحت خطواته.

اعلم أنه لما نشأت شجرة الكون أنبتت أغصاناً ثلاثة، غصن ذات اليمين وغصن ذات الشمال وغصن نبت مستقيماً قوياً وهو غصن السابقين فكانت روحانية محمد ﷺ قائمة بالثلاثة أغصان متعلقة بها سارية فيها لكل غصن نصيب على مقدار قابليته الروحانية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، فكان حظ غصن أصحاب اليمين روحانية الهداية والمتابعة له والعمل بسنته وشريعته، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾.

وكان حظ السابقين روحانية القربى منه والزلفى لديه والصحبة له ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾، وكان حظ أصحاب الشمال من روحانيته حمايتهم في الدنيا وأمنهم من العقوبة المعجلة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾.

فلما آن أوان ظهور جسمانيته ﷺ إلى الوجود، نبت غصن وجوده مستقيماً قوياً فلما ثبت أصله ونبت فرعه ناداه متولى سياسته ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ﴾، فكانت صفته ﷺ الاستقامة ومقامه دار المقامة، فلما استقام رحل عن الكونين،

ولما أقام نقل من مقام إلى مقام حتى استقر به المنزل فأقام. المقام الأول مقام الوجود في الدنيا وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، والمقام الثانى المقام المحمود في الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، والمقام الثالث مقام الخلود في الجنة وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾، والمقام الرابع المقام المشهود مقام قاب قوسين لرؤية المعبود ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، فهو المخصوص بالدنو والعلو والشهود إذ كان هو المقصود من كل الوجود.

لأن الوجود لما كان شجرة كان هو ثمرتها وكان هو جوهرتها، فالشجرة المثمرة إنما تثمر بالحببة التى ينبت بها أصلها، فاذا غرست تلك الحببة وغذيت وربيت حتى نبتت وفرعت واورقت واهتزت واثمرت، فاذا نظرت تلك الشجرة رأيته في تلك الحببة التى نبت منها هذه الشجرة، فالحببة في البداية نطفة حتى أظهرت صورة الشجرة.

والشجرة في النهاية بها ظهرت فظهرت صورة تلك الحببة فكذلك بطونه ﷺ في المعنى في السابق، واختفاؤه وظهوره في الصورة في اللاحق واشتهاره وهو معنى قوله ﷺ: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)، فكان هو مظهر معنى هذه الشجرة وهو مظهر صورته ﷺ فما برح بلسان القدم مذكوراً وفي طي العدم منشورا.

وما مثال ذلك إلا مثال تاجر عمد إلى فراشه وبزه فطواه في خزانة ملكه وعبأه أثواباً بعضاً فوق بعض، فأول ثوب دججه وطواه هو آخر ثوب أظهره وأبداه، كذلك سيدنا محمد ﷺ كان أولاً لكل وجوداً وآخرهم ظهوراً وخروجاً.

فلما تولى مقصار القدر سياسة هذا الغصن النبوى فغذاه بلباب بره وسقاه بكأس محبته، وحماه في قلة حماه، ورباه حتى اهتزت رباه وتفرعت نفحات شذاه،

فكانت تلك النفحات غذاء أرواح العارفين ونور بصائر المؤمنين وريحانة حضرة المحبين وعرصة مجمع العاصين وغيث مستسقى المذنبين.

فإن هب من تلقاء أصحاب الشمال سموم خطيئة أو عاصف معصية فأمال غصناً قد أنبتته الله نباتاً، فمال به إلى عمل من أعمال أهل الشمال تلاعب بفرعه وأثر ذلك في خضرة نضارة زرعه، لكن أصله في أرض الإيثار ثابت فما يضره ما حدث في فرعه النابت إذا تداركه صاحب سيئاته فحماه من ذلك الهوى وأماله إلى طريق الاستقامة بعد الطوى وسقاه بماء الاستغفار حتى ارتوى، فهناك يقبل منه ما نوى ويورق غصن إيمانه بعد ما ذوى ويقوم خطيب الاعتذار عنه وهو الصادق فيما نقل وروى ويقسم بـ ﴿وَالْتَجَمَّ إِذَا هَوَىٰ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

ثم اعلم أن الغصن المحمدي قد حصل من روحانية ما هو مادة الأرواح ومن جسمانية ما هو مادة الأشباح، فأما مادة روحانيته جوده في سر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مِصْبَاحٌ﴾ يعني مصباح نور نبينا ﷺ فقد جعله مصباح مشكاة الوجود فشبه الكون بالمشكاة وسيدنا محمد ﷺ بالزجاجة، والنور الذي هو قلبه بالمصباح، فاشرق نور باطنه على ظاهره كإشراق المصباح في الزجاجة، فصار نور المصباح نارا والزجاجة نوراً لصفائها فصار نوراً.

وكان حظ كل مخلوق من ذلك بحسب قربه منه واتباعه له والدخول في شيعته والعمل بشريعته، وهو معنى قوله تعالى: ﴿نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ﴾، فشبه الله تعالى حبيبه محمد ﷺ بالماء النازل من السماء بقدر لأن الماء حياة كل شيء، وكذلك كان نوره ﷺ حياة كل قلب ووجوده رحمة لكل شيء ثم بين انتفاع الناس بنوره وما نالهم من بركته ﷺ بالأودية فجعل القلوب أودية منها الكبير والصغير

والجليل والحقير فاحتمل كل قلب على قدر وسعه ومقدار مادته من الماء وتطرق السيل إليه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾.

ثم شبه جسمانيته بالزبد الرابى المحتمل على وجه الماء الصافي وهو مرباه الظاهر من الأكل والشرب والنكاح ومشاركة الناس في أفعالهم وأحوالهم، فذلك كله يذهب ويتلاشى، وأما ما ينفع الناس من نبوته ورسالته وحكمته وعلمه ومعرفته وشفاعته فيمكث في الأرض.

واعلم أنه إنما كانت حكمة خلقه كذلك، أنه خلق من لطيف وكثيف ليكون كامل الخلق كامل الوصف، خلقه الله تعالى من ضدين: جسماني وروحاني، فجعل جسمانيته وبشريته لملاقاة البشر ومقاييسات الصور فجعل له قوة يلاقى بها البشر، فيمددهم بمادة بشريته فيكون معهم بهم فيكون هم لهم ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يجانسهم ويشاكلهم لأنه لو برز إليهم في هيئة روحانية ملكية نورانية لما أطاقوا مقابلته وما استطاعوا مقاومته، فذلك من الله تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

ثم جعل له قوة وروحانية يقابل بها عالم الروحانيين وملكوت العلويين ليكون تام البركة تام الرحمة، الروحانيون يشهدون جسمانيته.

ثم جعل له وصف ثالث خاص خارج عن هذين الوصفين وهو أنه جعل فيه وصف رباني وسر إلهي، يثبت به عند تجلي صفات الربوبية ويطبق به مشاهدة الحضرة الإلهية ويتلقى به أسرار أنوار الفردانية ويسمع به خطاب الإشارات القدسية ويستنشق به عطر النفحات الرحمانية، ويعرج به إلى المقامات العذبة البهية هو معنى سر قوله ﷺ: (لست كأحد منكم)، وقوله ﷺ: (إلى وقت لا يسعني فيه غير ربي سبحانه).

فهذا المقام ليس يختص به ملك مُقرب ولا نبي مُرسل، كأس لم يتناوله سواه، عروس ما جلّيت إلا عليه، وهو هذا المقام المخصوص به وهو أحد المقامات الأربعة التي ذكرناها، وأما الثلاثة الأخر فإنها كرامات لسائر الخلق ليتناول كل منهم ما قسم له من النصيب.

فأما المقام المحمود فمخصوص بعالم الصورة وهو عالم الملك في الدنيا، فيتناولهم وجد طمأنينته وبركة نبوته ورسالته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ أقيم علي منبر ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فهو في الدعوة مجيبهم وفي النصيحة خطيبهم ومن الزلزلة طيبهم ومن المحبة نصيبهم، فهذا مخصوص بأهل الدنيا.

وأما المقام الثاني فهو المقام المحمود في القيامة، وذلك نصيب الملائكة الأعلیٰ فينالهم من بركة مقامه ومشاهدة جماله وسماع كلامه ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ يؤذن له في الخطاب فيقوم خطيباً والملائكة صفوفاً والخلائق وقوفاً، فيفتتح خطبته بالشفاعة لأئمة وينادي: أمتي أمتي، فيجيبه: رحمتي رحمتي.

وأما المقام الثالث فالشهود وذلك في دار الخلود، لينال أهل الجنة منه نصيبهم، تتمتع بمشاهدته الحور وتتشرف بحلوله القصور ويقدم لقدمه السرور وتزداد الجنة نوراً وترفع بقدمه الحجب وتزول الشرور.

المقام الرابع هو المقام الذي خص به ﷺ وهو مقام رؤية المعبود جل وعلا وهو مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، وذلك أنه لما كان ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسره ومعنى كلمة **كُنْ**، ولم تكن الشجرة مُراد لذاتها وأنها كانت مُراد لثمرتها فهي محمية محروسة لا جتناء ثمرتها واستجلاء زهرتها.

فلما كان المراد عرض هذه الثمرة بين يدي مُثمرها وزفها إلى حضرة قربه والطواف بها على ندمان حضرته، قيل له: يا يتيّم أبى طالب قم فإن لك طالب

قد إدخر لك مطالب، فارسل إليه أخص خدام الملك فلما ورد عليه قادماً وأفاه على فراشه نائماً.

فقال له: يا جبريل إلى أين؟

فقال: يا محمد ارتفع الآن من البين فإنى لا أعرف فى هذه النوبة أين، لكنى رسول القدم أرسلت إليك من جملة الخدم وما تنتزل إلا بأمر ربك.

قال: يا جبريل فما الذى مُراد منى؟

قال: أنت مُراد الإرادة مقصود المشيئة، فالكل مراد لأجلك وأنت مراد لأجله، وأنت مختار الكون أنت صفوة كأس الحب أنت درة هذه الصدفة أنت ثمرة هذه الشجرة أنت شمس المعارف أنت بدر اللطائف، ما مهدت الدار إلا لرفعة محلك، ما هوى هذا الجمال إلا لوصلك، ما روق كأس المحبة إلا لشربك، فقم فإن الموائد لكرامتك ممدودة والملا الأعلى يتباشرون بقدومك عليهم، والكروبيون يتهللون ورودك إليهم وقد نالهم شرف روحانيتك فلا بد لهم من نصيب جسمانيتك، فشرف عالم الملكوت كما شرفت عالم الملك وشرف بوطء قدميك قمة السماء كما شرفت بهما أديم البطحاء.

قال: يا جبريل الكريم يدعونى، فماذا يفعل بى؟

قال: ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

قال: هذا لى، فما لعيالى وأطفالى فإن شر الناس من أكل وحده؟

قال: ﴿وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

قال: يا جبريل الآن طاب قلبى ها أنا ذاهب إلى ربى، فقرب له البراق فقال:

ما لى بهذا؟

قال: مركب العشاق، أنا مركبى شوقى وزادى توقى ودلىلى لىلى، أنا لا أصل إليه إلا به ولا يدلنى عليه إلا هو، وكيف يطيق حيوان ضعيف أن يحمل من يحمل أثقال محبته ورواسى معرفته وأسرار أمانته التى عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال، وكيف تطيق أن تدل بى وأنت الحائر عند سدره المنتهى، وقد انتهى إلى حضرة ليس لها منتهى.

يا جبريل: أين أنت منى ولى وقت لا يسعنى فيه غير ربى، يا جبريل: إذا كان محبوبى ليس كمثله شىء فأنا لست كأحدكم، المركوب يقطع به المسافات والدليل يستدل به إلى الجهات، وإنما ذلك محل الحداث وأنا حببى مقدس عن الجهات منزه عن الحداث لا يوصل إليه بالحركات ولا يستدل عليه بالإشارات، فمن عرف المعانى عرف ما أعانى، هلم أن قربى منه مثل قاب قوسين أو أدنى.

فوقعت هيئة الوقت على جبريل فقال: يا محمد إنما جىء بى إليك لأكون خادم دولتك وصاحب حاشيتك، وجىء بالمركب إليك لاظهار كرامتك لأن الملوك من عاداتهم إذا استزاروا حبیباً أو استدعوا قريباً وأرادوا ظهور كرامتهم واحترامهم أرسلوا أخص خدامهم وأعز دوابهم لنقل أقدامهم فجئناك على رسم عادة الملوك وآداب السلوك.

ومن اعتقد أنه سبحانه وتعالى يوصل إليه بالخطى وقع فى الخطأ، ومن ظن أنه محجوب بالغطاء فقد حرم العطاء، يا محمد إن الملاء الأعلى فى انتظارك والجنان قد فتحت أبوابها وزخرفت رحابها وتزينت أترابها وروق شرابها، كل ذلك فرحاً بقدمك وسروراً بورودك والليلة ليلتك والدولة دولتك، وأنا منذ خلقت منتظر هذه الليلة وقد جعلتك الوسيلة فى حاجة قلت فيها حيلتى وانقطعت وسيلتى، فأنا فيها حائر العقل ذاهل الفكر داهش السر مشغول البال زائد البلبال، يا

محمد حيرتى أوقفتنى فى ميادين أزله وأبده، فجُلت فى الميدان الأول فما وجدت له أول، وملت إلى الميدان الآخر فإذا هو فى الآخر أول، فطلبت رفيقاً إلى ذلك الرفيق، فتلقانى ميكائيل فى الطريق فقال لى: إلى أين؟ الطريق مسدودة والأبواب دونه مردودة لا يوصل بالأزمان المعدودة ولا يوجد فى الأماكن المحدودة.

قلت: فما وقوفك فى هذا المقام؟

قال: شغلنى بمكايل البحار وإنزال الأمطار وإرسالها فى سائر الأقطار، فأعرف كم أجاجها مدداً وكم تقذف أمواجها زبداً ولا أعرف للأحذية أمداً ولا للفردية عدداً.

قلت: فأين إسرائيل؟

قال: ذلك أدخل فى مكتب التعليم يصافح بصفحة وجهه اللوح المحفوظ ويستنسخ منه ما هو مبروم ومنقوض، ثم يقرأ على صبيان التعليم فى مثال ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، ثم هو فى زمن تعلمه لا يرفع رأسه حياء من معلمه، فطرفه عن النظر مقصور وقلبه عن الفكر محصور، فهو كذلك إلى يوم ينفخ فى الصور.

قلت: فهل نسأل العرش ونستهديه ونستنسخ منه ما علمه ونستمليه.

فلما سمع العرش ما نحن فيه اهتز طرباً وقال: لا تحرك به لسانك ولا تحدث به جنانك فهذا سر لا يكشفه حجاب وستر لا يفتح دونه باب وسؤال ليس له جواب؟ ومن أنا فى البين حتى أعرف له أين، وما أنا إلا مخلوق من حرفين وبالأمس كنت لا أثر ولا عين، من كان بالأمس عدماً مفقوداً كيف يعرف رؤية من لم يزل موجوداً ولا والدأ ولا مولوداً، وهو سبقنى بالاستواء وقهرنى

بالاستيلاء، فلولا استواؤه لما استويت ولولا استيلاؤه لما اهتديت، استوى إلى السماء وهى دخان واستوى على العرش لقيام البرهان، فوعزته لقد استوى ولا علم لى بما استوى، وأنا والثرى بالقرب منه على حد سوى، فلا أحيط بما حوى ولا أعرف ما زوى، ولكنى عبد له ولكل عبد ما نوى، ثم أنى أخبرك بقصتى وأبث إليك شكوى غصتى، أقسم بعلى عزته وقوى قدرته، لقد خلقتنى وفى بحار أحديثه اغرقنى وفى ببداء أبديته حيرنى، تارة يطلع من مطالع أبديته فينعشنى، وتارة يدنينى من مواقف قربه فيؤنسنى، وتارة يحتجب بحجاب عزته فيوحشنى، وتارة يناجينى بمناجاة لطفه فيطربنى، وتارة يواصلنى بكاسات حبه فيسكرنى، وكلما استعذبت من عريضة سُكرى قال لسان أحديثه: لن ترانى.

فذبت من هيئته فرقاً وتمزقت من محبته قلقاً وصعقت عن تجلى عظمته كما ﴿وَاخْرَ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، فلما أفقت من سكرة وجدى به، قيل لى: أيها العاشق هذا جمال قد صناه وحسن قد حجبناه فلا ينظره إلا حبيب قد اصطفيناه ويتيم قد ربيناه، فاذا سمعت ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ فقف على طريق عروجه إلينا وقدومه علينا لعلك ترى من يرانا وتفوز بمشاهدة من لم ينظر إلى سوانا.

يا محمد إذا كان العرش مشوقاً إليك فكيف لا أكون خادم يديك.

قدم إليه مركبه الأول وهو البراق إلى بيت المقدس، ثم المركب الثانى وهو المعراج إلى سماء الدنيا، ثم المركب الثالث وهو أجنحة الملائكة من سماء إلى سماء وهكذا إلى السماء السابعة، ثم المركب الرابع وهو جناح جبريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى.

فتخلف جبريل عليه السلام عندها، فقال: نحن الليلة أضيافك فكيف يتخلف المضيف عن ضيفه، أههنا يترك الخليل خليله؟

قال: يا محمد أنت ضيف الكريم ومدعو القديم لو تقدمت الآن بقدر أنملة
لا احترقت وما منا إلا له مقام معلوم.

قال: يا جبريل إذا كان كذلك ألك حاجة؟

قال: نعم، إذا انتهى بك إلى الحبيب حيث لا منتهى، وقيل لك: ها أنت وها
أنا، فاذكرني عند ربك، ثم زج به جبريل عليه السلام زجة فخرق سبعين ألف
حجاب من نور.

ثم تلقاه المركب الخامس وهو الرفرف من نور أخضر قد سد ما بين الخافقين،
فركبه حتى انتهى به إلى العرش، فتمسك العرش بأذياله وناداه بلسان حاله،
وقال: يا محمد إلى متى تشرب من صفاء وقتك آمناً من معتكره تارة يتشوق إليك
حبيبك وينزل إلى السماء الدنيا وتارة يطوف بك على ندمان حضرته ويجعلك على
رفرف رأفته ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ وتارة يشهدك جمال أحديته ﴿مَا كَذَبَ
الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ وتارة يشهدك جمال صمدانيته ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ وتارة
يطلعك على سرائر ملكوتيته ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ وتارة يدنيك من حضرة
قربه ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، يا محمد هذا أوان الظمآن إليه واللهفان عليه
والمتحير فيه، لا أدري من أى جهة آتية جعلنى أعظم خلقه فكنت أعظمهم
وأشدهم خوفاً منه، يا محمد خلقتنى يوم خلقتنى فكنت أرعد من هيبة جلاله،
فكتب على قائمتى "لا إله إلا الله" فازددت لهيبة إسمه ارتعاداً وارتعاشاً، فلما
كتب على "محمد رسول الله" سكن لذلك قلقى وهدأ روعى فكان اسمك أماناً
لقلبى وطمأنينة لسرى ورقية لقلقى، فهذه بركة وضع اسمك على، فكيف إذا
وقع جميل نظرك إلى؟

يا محمد أنت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لى من نصيب فى هذه الليلة ونصيبى
من ذلك أن تشهد لى بالبراءة من النار مما نسبته إلى أهل الزور وتقوله على أهل

الغرور، فإنه أخطأ في قوم فضلوا، وظنوا أنى أسع من لا حد له وأحمل من لا هيئة له وأحيط بمن لا كيفية له، يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته فكيف يكون مفتقراً إلى أو محمولاً على؟

فإذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته ونعته وصفته ونعته متصل بذاته، فكيف يتصل بى أو ينفصل عنى ولا أنا منه ولا هو منى؟

يا محمد وعزته لست بالقرب منه وصلاً ولا بالبُعد عنه فصلاً ولا بالمطيق له حملاً ولا بالجامع له شملاً ولا بالواجد له مثلاً، بل أوجدنى من رحمته منة وفضلاً، ولو محقنى لكان فضلاً منه وعدلاً.

يا محمد أنا محمول قدرته ومعمول حكمته فكيف يصح أن يكون الحامل محمولاً، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

فأجابه لسان حاله ﷺ: أيها العرش إليك عنى فأنا مشغول عنك فلا تكدر على صفوتى ولا تشوش على خلوتى، فما فى الوقت سعة لعتابك ولا محل لخطابك، فما أعاره ﷺ طرفاً ولا قرأ من مسطور ما أوحى إليه حرفاً ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾.

ثم قدم المركب السادس وهو التأييد فنودى من فوقه ولم ير: حافظك قدامك ها أنت وربك.

قال: فبقيت متحيراً لا أعرف ما أقول ولا أدرى ما أفعل، إذ وقعت على شفتى قطرة أحلى من العسل وأبرد من الثلج وألين من الزبد وأطيب ريحاً من المسك، فصرت بذلك أعلم من جميع الأنبياء والرسل، فجرى على لسانى: التحيات المباركات لله، الصلوات الطيبات لله فأجبت: السلام عليك أيها النبى

ورحمة الله وبركاته، فأشركت إخواني الأنبياء فيما خصصت به فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أراد بهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ولهذا قيل لأبي بكر رضى الله عنه ليلة أسرى برسول الله ﷺ أنه رأى ربه، قال: صدق وكنت معه متمسكاً بأذياله مشاركة في مقاله.

قيل: كيف؟

قال: في قوله (السلام علينا) فأجابه الملائكة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله.

قال: ثم نوديت أدن يا محمد، فدنوت ثم وقفت، وهو معنى قوله عز وجل ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾.

وقيل دنا محمد في السؤال فتدلى فتقدم للرب عز وجل.

قيل: دنا بالشفاعة وتقرب إلى الرب بالإجابة.

وقيل: دنا بالخدمة وتقرب للرب بالرحمة ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾، معناه دنا محمد من ربه فتدلى عليه الوحي من ربه، دنا لطافة فتدلى عليه رافة ورحمة.

لا يوصف بقطع مفازة ولا مسافة، قد ذهب الأئمة من البين وتلاشى الكيف واضمحل الأئمة ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ فلو اقتصر على قاب قوسين لاحتمل أن يكون للرب مكان وإنما قوله ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ لنفى المكان وكان معه حيث لا مكان ولا زمان ولا أوان ولا أكوان.

فنودى: يا محمد تقدم.

فقال: يا رب إذا انتفى الأين فأين أضع القدم؟

قال: ضع القدم على القدم حتى يعلم الكل أنى منزله عن الزمان والمكان والأكوان وعن الليل وعن النهار وعن الحدود والأقطار وعن الحد والمقدار، يا محمد أنظر.

فنظر فرأى نوراً ساطعاً فقال: ما هذا النور؟

قيل: ليس هذا نور بل هو جنات الفردوس لما ارتقيت صارت في مقابلة قدميك وما تحت قدميك فداء لقدميك، يا محمد مبدأ قدمك منقطع أوهام الخلائق، يا محمد مادمتم في سير الأين جبريل دليلك والبراق مركبك، فإذا ذهب المكان وغبت عن الأكوان وانتفى الأين وارتفع البين من البين ولم يبق إلا ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ فأنا الآن دليلك يا محمد، افتح لك الباب وارفع لك الحجاب وأسمعك طيب الخطاب في عالم الغيب، فوحدتنى تحقيقاً وإيماناً، فوحدنى الآن في عالم الشهود مشاهدة وعياناً.

فقال: أعوذ بعفوك من عقوبتك.

فقيل: هذا لعصاة أمتك ليس هذا حقيقة مدعى وحدتى.

فقال ﷺ: لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

فقال: يا محمد إذا كَلَّ لسانك عن العبارة فلاكسونه لسان الصدق ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ فإذا ضل عيانك عن الإشارة فلاجعلن عليك خلعة الهداية ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾، ثم لأعيرنك نوراً تنظر به جمالى وسمعاً تسمع به كلامى، ثم أعرفك بلسان الحال معنى عروجك علىَّ وحكمة نظرك إلىَّ، فكأنه يقول مشيراً: يا محمد ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا﴾، والشاهد مطالب بحقيقة ما شهد به

ولا يجوز له الشهادة على غائب، فأريك جنتي لتشاهد ما أعددت لأوليائي، وأريك نارى لتشاهد ما أعددت لأعدائي، ثم أشهدك جلالى وأكشف لك عن جمالى لتعلم أنى منزه فى كمالى عن المثل والشبيه والبديل والنظير والمشير، وعن الحد والقدر وعن المحصر والعد وعن الزوج والفرد، وعن المواصل والمفاصلة والمائلة والمساكلة والمجالسة واللامسة والمباينة والممازجة.

يا محمد أنى خلقت خلقى ودعوتهم إلى فاختلفوا على، فقوم جعلوا العزيز ابنى وان يدى مغلوله وهم اليهود، وقوم زعموا أن المسيح ابنى وأن لى زوجة وولد وهم النصارى، وقوم جعلوا لى شركاء وهم الوثنية، وقوم جعلونى صورة وهم المجسمة، وقوم جعلونى محدوداً وهم المشبهة، وقوم جعلونى معدوماً وهم المعطلة، وقوم زعموا أنى لا أرى فى الآخرة وهم المعتزلة، وها أنا قد فتحت لك بابى ورفعت لك حجابى فانظر يا حبيبى يا محمد هل تجد فى شئ مما نسبونى إليه؟

فراه ﷺ بالنور الذى قواه به وأيده به من غير إدراك ولا إحاطة فرداً صمداً لا فى شىء ولا على شىء ولا قائماً بشىء ولا مفتقراً إلى شىء ولا هيكلاً ولا شبهاً ولا صورة ولا جسماً ولا محيزاً ولا مكيفاً ولا مركباً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

فلما كلمه شفاهاً وشاهده كفاحاً، فقال: يا حبيبى يا محمد لا بد لهذه الخلوة من سر لا يذاع وزمن لا يشاع ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ فكان سر من سر فى سر.

وصل اللهم وسلم وبارك على أشرف مخلوقاتك سيدنا ومولانا محمد بحر أنوارك ومعدن أسرارك ولسان حجتك وإمام حضرتك وعروس مملكته وطراز مُلكك وخزائن رحمته وطريق شريعته وسراج جنته وعين حقيقته المتلذذ بمشاهدته عين أعيان خلقه المُقتبس من نور ضيائه، صلاة تحل بها عقدتى

وتفرج بها كربتي وتقضى بها إربى وتبلغنى بها طلبى، صلاة دائمة بدوامك باقية
ببقائك قائمة بذاتك، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين.

وحسبنا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين



